The Faculty Journal of Arts, Rajshahi University
Volume 39, June 2025, ISSN 1813-0402

كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه وخدماته في الشعر العربي

[KAAB BIN MALIK (R.) AND HIS CONTRIBUTION IN ARABIC POETRY]

Md. Akbar Ali
PhD Fellow, Department of Arabic, University of Rajshahi, Rajshahi-6205, Bangladesh

ARTICLE INFORMATION

The Faculty Journal of Arts
Rajshahi University
Volume 39, June 2025
ISSN: 1813-0402 (Print)
DOI:

Received : 13 February 2025
Received in revised: 26 October 2025
Accepted: 13 October 2025
Published: 10 November 2025

Keywords:
Biography, Poetry, Prose, Precedence, Priority.

ABSTRACT

Ka'b bin Malik (r.) was an eminent poet of both the pre-Islamic and early Islamic periods, known for his eloquence and powerful verse. His poetry evolved from themes of tribal honor and valor to expressions of deep faith, repentance, and devotion to Islam. His works serve as a historical and literary bridge between the oral poetic traditions of pre-Islamic Arabia and the emerging Islamic ethos. A significant portion of his poetry revolves around his personal experiences, particularly his repentance after missing the Battle of Tabuk, an event that earned him divine forgiveness as mentioned in the Qur'an (Surah At-Tawbah 9:118). His verses reflect themes of spiritual redemption, the mercy of Allah, and the unwavering truth of the Prophet Muhammad's message. Additionally, he composed poetry in praise of the Prophet, using imagery of light and strength to convey Muhammad's divine mission. Ka'b's poetry is characterized by its rhythmic flow, rich metaphors, and emotional depth. His work not only captures personal transformation but also contributes to the broader Islamic literary tradition, reinforcing faith, unity, and moral integrity through poetic expression.

مقدمة

إن كعب بن مالك أحد أبرز شعراء العصر الجاهلي والإسلام، عرف بفصاحته وبلاغته وكان من المدافعين عن الإسلام بشعره. ولد في يثرب (المدينة المنورة) وكان من أوائل الذين أسلموا من الأوس والخزرج، كما شهد بيعة العقبة الثانية مع النبي مُحَمَّد ﷺ. وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر، فنزلت فيهم آية التوبة في سورة التوبة (١١٨)، وهي حادثة أثرت بعمق في حياته وشعره. بدأ كعب حياته الشعرية في الجاهلية، حيث برع في الفخر والهجاء، لكنه بعد إسلامه سخّر موهبته لخدمة الدعوة الإسلامية، فكان يمدح النبي ﷺ، ويرد على شعراء قريش الذين هاجموا الإسلام. وقد اشتهر بأسلوبه القوي وصوره الشعرية المؤثرة، مما جعله أحد شعراء النبي إلى جانب حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة. شكل شعر كعب بن مالك نموذجًا للتحول الأدبي بين الجاهلية والإسلام، حيث انتقل من الفخر القبلي إلى تمجيد القيم الإسلامية والدفاع عن العقيدة. وتبقى قصائده شاهدًا على العصر النبوي ومصدرًا مهمًا لفهم الأحداث التاريخية من منظور شعري إسلامي.

اسمه و نسبه

هو كعب بن مالك بن أبي كعب، وهو عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن سادرة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن إمرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث. [١] وأمه ليلى بن زيد بن ثعلبة من بني سلمة أيضا[٢]. وقيل هو كعب بن مالك بن أبي كعب، وهو عمرو بن القين بن سوادبن غنم ابن سلمة.[٣]

كنيته و لقبه

أما كنيته، فأغلب المصادر تشير إلى أنه أبو عبد الله[٤]. وذكر بعض إنه أبو عبد الرحمن[٥] وانفرد إبن حجر بأنه أبو مُحَمَّد[٦]، وهم جميعا أولاده، ولكنهم ليسوا من زوجة واحدة. وإنما كل منهم من زوجة، ولذلك يكنى بأكبر أولاده من كل زوجة. وقيل إن كنيته في الجاهلية كانت أبا بشير، فكناه النبي ﷺ أبا عبد الله[٧]

مولده ونشأته

ولد إبن مالك ﷺ في يثرب من بني سلمة من الخزرج في سنة ٢٥ قبل الهجرة مطابقا لسنة ٥٩٥م. [٨] و قيل ولد كعب في يثرب سنة ٢٥ قبل الهجرة الموافق ٥٩٨م ونشأ في بيئة تجارية وثقافية، وكان ذا عقل راجع وموهبة شعرية منذ شبابه. كان من أسرة غنية ومعروفة في مكة، ما جعل له حضورا اجتماعيا مميزا.

زواجه

تزوج كعب كثيرا على عادة العرب ـ لا يعلم متى انعقد هذا الزواج من زوجاته : عميرة بنت جبير من بني سلمة، تزوجها كعب فولدت عبد الله، وفضالة، معبدا، وخولة، وسعاد. وأسلمت عميرة و هي أم معبد، و بايعت الرسول ﷺ، صلت القبلتين[٩]. وصفية، و هى من أهل اليمن، ولدت له كبشة زوجة ثابت بن أبي قتادة الأنصارى[١٠]. وأم ولد، ولدت له عبد الرحمن في عهد النبي صلى الله عليه و سلم، وقد توفي في خلافة سليمان بن عبد المالك[١١]. وذكر الزمخشري أن لكعب بن مالك امرأة كانت قد ماتت قبل المهاجرات السابقات[١٢], وهي غير عميرة وأم انيس، لأنهما انصاريتان، وغير صفية، لأنها من أهل اليمن، وربما كانت أم ولد، أو خيرة. وإلا فهي الزوجة الخامسة. وعدد أولاده المذكورين ثمانية ذكور، وثلاث أناث، وانفرد السخاوي بقوله أن لكعب ولدا إسمه سعيد[١٣]. كما اشتهر بالعلم والحديث، فكعب روى عن رسول الله ﷺ ثمانين حديثا[١٤]. وهو ثقة لدى أصحاب الحديث، يروي له أصحاب الصحاح والسنن، وروى الحديث من ولده عبد الله وعبد الرحمن ومُحَمَّد و بشة معبد، و وثقهم جميعا أصحاب الحديث[١٥].

قبول الإسلام

وأسلم كعب مبكرا، فكان من أوائل الأنصار في المدينة، فما أن عمل نور الإسلام إلى يثرب حتى أضاء جوانب نفسه، وانشرح صدره للإيمان، من بالإسلام، و صدق رسول الله ﷺ، في الوقت الذي لم يكن في دينة أكثر من أربعين رجلا من المسلمين، وصلى الجمعة فيها قبل هجرة رسول الله ﷺ قال عبد الرحمن بن كعب: كنت قائد أبي حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذان بها صلى على أبى أمامة، أسعد بن زرارة، قال: فقلت يا أبت مالك إذا سمعت الأذان بالجمعة صليت على أبى أمامة؟ قال: فقال: أى بني، كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم من حرة بني بياضة، يقال له بقيع الخضمات[١٦]، قلت له: كم انتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلا[١٧]. ولما كانت العقبة الثانية توجه كعب مع سبعين رجلا وإمرأتين ممن كانوا طلائع الإسلام الأول في المدينة إلى مكة، حيث وافوا رسول الله ﷺ في العقبة، وبايعوه على الإسلام والإيواء والنصر، وتجمع المصادر على وجوده مع هؤلاء السبعين[١٨]، ولذلك قيل عنه عقبي، والدور الذى اضطلع به في خدمة الإسلام، والدعوة الى الله. وعندما آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين و الأنصار، كان كعب ممن شملته هذه المؤاخاة، ولكن اختلف الرواة فيمن كان آخاه من

المهاجرين، فالبعض يروي أنه طلحة[١٩]، والبعض يروي أنه الزبير بن العوام، ويذكر هؤلاء حادثة تؤيد ذلك. و يرجع سبب هذا الاختلاف إلى أن النبي ﷺ كان آخى بينه وبين طلحة لما آخى بين المهاجرين و الأنصار، وكان الزبير آخا طلحة في اخوة المهاجرين فهو أخو أخيه[٢٠].

جهاده في سبيل الله

إن كعب حارب أعداء الله بلسانه، ودفع عن الرسول بشعره، وجاهد بسيفه، حتى شهد له الرسول عليه السلام بذلك حين قال له: أنت تحسن صنعة الحرب[٢١] واشترك كعب مع الرسول في جميع المشاهد، إلا غزوتي بدر و تبوك، وقيل أنه شهد بدرا[٢٢] وقال كعب: تخلفت في غزوة بدر، ولم تعاتب أحد تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد قريش، حتى جمع الله بينهم، و بين عدوهم على غير ميعاد[٢٣]. ولقد أبلى كعب و قومه من بني سلمة بلاء حسنا يوم أحد، حتى جرح منهم أربعون رجلا. وجرح كعب يومئذ بضعة عشر جرحا[٢٤]. وكانت غزوة تبوك في حر شديد، فأصاب المسلمين الجهد، حتى سميت غزوة العسرة، وتخلف عن هذه الغزوة بسبب هذا الحر بضعة وثمانون رجلا من المدينة، أغلبهم مغموص عليه في النفاق، أو ضعيف[٢٥]. قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفي له ما لم ينزل فيه وحي من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة، وتجهز رسول الله ﷺ، والمسلمون معه، فطفقت أغدو كى أتجهز معهم، فارجع ولم أقض شيئا، فاقوا في نفسى: أنا قادر عليه. فلم يزل يتمادى بي حتى إشتد بالناس الجهد، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه،

ولم أقض من جهازي شيئا. فقلت: اتجهز بعده بيوم أو يومين ثم الحقهم. فغدوت بعد ان فصلوا لا تجهز، فرجعت و لم أقض شيئا، فلم يزل بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو، وهممت ان أرتحل فادركهم، وليتني فعلت . فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم، احزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله ﷺ حبسه برداه، ونظره في عطفه[٢٦] فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ﷺ ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال كعب: فلما بلغنى أنه توجه قافلا حضرني همى، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بما أخرج من سخطه غدا؟

قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حول الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول، حتى صافحنى وهنأني، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ و لدتك أمك قال قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال. لا بل من عند الله. وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يارسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله، وإلى رسول الله. قال ﷺ: أمسك مالك، فهو خير لك، قلت: فإني أمسك سهمي الذى بخيبر. فقلت: يارسول الله إن الله نجانى بالصدق، و إن من توبتى أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت، فو الله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومنا هذا كذبا، وإنى لأرجو أن يحفظني الله ما بقيت، و أنزل الله على رسوله ﷺ (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ

وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) فو الله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أن لا أكون كذبته فأهلك، كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد. فقال تبارك وتعالى: (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ). قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم، استغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا). و ليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا، و إرجاؤه أمرنا عمن حلف له، واعتذر اليه، فقبل منه.[٢٧]

قال كعب: ونزلت توبتنا على النبي ﷺ ثلث الليل، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، ألا نبشر كعبا؟ قال: إذا يحطمكم الناس ويمنعوكم النوم[٢٨]. وكانت قصته من الأهمية بحيث جعلت أبابكر يسابق عمر رضي الله عنهما ليبشرا كعبا بتوبته[٢٩]. ورقى أبو بكر جبل سلع و صاح: قد تاب الله على كعب بن مالك يبشره[٣٠]. وكان أكثر ما يهم كعبا أن يموت قبل أن ينزل الله توبته. قال: ما من شيء أهم إلي من أن أموت، فلا يصلى على النبي ﷺ، أو يموت رسول الله ﷺ، فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد منهم أو يصلي علي[٣١]. وكان يقيم به النهار صائما، و يأوى إلى داره بالليل، حتى نزلت توبته[٣٢]. فكان فرحه لايوصف و تصويره له في القصة يغني عن كل وصف. وعندها ذهب فقبل يد النبي ﷺ لما نزل على يديه من تلك التوبة[٣٣].

وفاته

اختلف في وفاته على أقوال، فقد روى الواقدى أنه مات سنة خمسين[٣٤]، وهو قول أغلب المؤرخين المتقدمين منهم[٣٥]و المتأخرين[٣٦]. وعن الهيثم بن عدى أنه توفي سنة إحدى و خمسين[٣٧]، وقال بذلك القاسم بن عدى أيضا[٣٨]، وقد ذكر البخشى التأريخين فقال: أنه مات في خلافة معاوية سنة خمسين أو إحدى خمسين[٣٩]. و القول الثالث أنه مات سنة ثلاث وخمسين انفرد به البغدادى قال: توفي كعب بن مالك في مدة معاوية سنة خمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين[٤٠]. وورد قول رابع يخالف ما سبق كثيرا رواه الكلبى،و هو أنه مات قبل إحدى وأربعين[٤١]. وقال المدائنى ما يقارب هذا القول قال أنه سنة أربعين[٤٢]. وذهب إبن البرقى إلى أنه توفي قبل الأربعين[٤٣]. والأقوال الثلاثة الأولى متقاربة، ويمكن أن يكون أى واحد منها الصحيح، مع أن شبه الاجماع انعقد على أن وفاته كانت سنة خمسين. أما القول الذي يذهب إلى أنه توفي قبل إحدى وأربعين فإن إبن كثير رد عليه بقوله: غلط الكلبي في قوله أنه شهد بدرا، وفي قوله أنه توفي قبل إحدى وأربعين، فإن الواقدى ـ وهو أعلم منه ـ قال توفي سنة خمسين[٤٤]. ونفس الرد بالنسبة للرأيين الآخرين. و يؤيد رأى ابن كثير ما رواه أن أبي حاتم الرازي بأن كعبا فقد بصره في عهد معاوية. و كما اختلف في سنة وفاته، فقد اختلف في مكانها، و أكثر الرواة على أنه توفي بالمدينة[٤٥]، والقول الآخر أنه توفي بالشام[٤٦]. و أرجح القول الأول، لأن ابن عبد الله روى أنه كان يقود أباه بعد ان فقد بصره حين كان يخرج لصلاة الجمعة في المدينة[٤٧].

خدماته في الشعر العربي

لكعب بن مالك خدمة شعرية رفيعة، و يقول له رسول الله صلى الله عليه و سلم :إنك لحسن الشعر.[٤٨] و أن يكون من فحول شعراء القرى العربية. ذكر ابن سلام عنه حين تكلم عن القرى العربية: و أشعرهن قرية المدينة، شعراؤها الفحول خمسة ثلاثة من الخزرج و اثنان من الأوس.[٤٩] وعرف ابن سلام قيمة شعره الفنية فقال :كعب بن مالك شاعر مجيد.[٥٠]أما ابن عبد البر فقد ذكر أن له أشعارا حسانا جدا في المغازي و غيرها.[٥١] وأنصفه الصفدي وكذلك البغدادي فجاء قولهما عنه واحدا. قال:هو أحد شعراء رسول الله ﷺ الذين كانوا يردون الأذى عنه وكان مجودا مطبوعا.[٥٢] وقد استحسنت السيدة عائشة ﵂ شعره وروته، قالت: الشعر منه حسن ومنه قبيح خذ الحسن ودع القبيح ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعارا منها القصيدة فيها أربعون بيتا ودون ذلك.[٥٣]

ومن هذا يتضح أن الذين ترجموا له أو ذكروا شيئا عن فنه لم يختلفوا في أنه شاعر مجود مطبوع. وهذا الحكم ينطبق عليه تماما لأنه مجود في أغلب شعره مع الاعتراف بأن شعره متفاوت وهذا قد يكون من طبيعة الموضوع نفسه فقد تجده مجودا كل التجويد في فن من الفنون أو قصيدة من القصائد كما نرى في فائيته التي نظمها بعد الفراغ من حنين والتي مطلعها.

قضينا من تهامة كل ريب * وخيبر ثم أجمعنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت * قواطعهن دوسا أو ثقيفا
فلست لحاضن إن لم تروها * بساحة داركم منكم ألوفا
ونتنزع العروش ببطن وج * وتصبح دوركم منكم خلوفا[٥٤]

الاستشهاد بشعره: وجد اللغويون في شعر كعب ما يحفظ للغة أصالتها وللألفاظ فصاحتها فاعتمدوا عليه في تقرير البعض من ألفاظهم اللغوية فعمد أصحاب المعاجم إلى شعره يستخرجون من ألفاظه ما يستشهدون به على معاني مادتهم اللغوية و يدللون به على ما يذهبون إليه من أحكام. والملاحظ أن ما ورد له في هذه الكتب من أشعار قليل بالنسبة إلى ما ورد فيها من أشعار ومن الواضح أن ذلك راجع إلى سهولة شعره ولينه وقلة الغريب فيه، فأبن منظور لم يسجل له في اللسان أكثر من ثلاثين بيتا وأقل من هذا العدد ورد في تاج العرس. وهذا المقدار في اللسان أو التاج الضخمين شئي قليل جدا. وكذلك صنع غيرهما من علماء اللغة فاستشهدوا بالقليل من شعره كالمبرد في الكامل و ابن دريد في جمهرة اللغة وابن ولاد في المقصور و الممدود و ابن فارس في مقاييس اللغة و ابن جني في المنصف و ابن سيدة في المحكم والجواليقي في العرب و الزمخشري في الفائق و غيرهم. و وجد الجغرافيون في شعره موردا لا ينضب لما تحدثوا عنه من الأمكنة البلدان فالبكري استشهد به في كثير مواضع معجم ما استعجم و ياقوت في معجم البلدان و السمهودي في وفاء الوفا.

منزلته الشعرية في المعاصرية:

أولا: موقعه بين شعراء عصره

كان كعب بن مالك الأنصاري ﵁ من أشهر شعراء المدينة في عصر النبوة، وبرز في صف شعراء الدعوة الإسلامية الثلاثة إلى جانب :حسّان بن ثابت،عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك. وقد عده المؤرخون من فحول الشعراء في صدر الإسلام، لأنه جمع بين بلاغة الجاهلية وإيمان الإسلام، وكان صوتًا قويًّا للدفاع عن العقيدة والرسول ﷺ.

ثانيا: دوره في خدمة الإسلام بالشعر

في زمن كان الشعر فيه وسيلة الإعلام الأولى، كان كعب يقاتل بالكلمة كما يقاتل المجاهد بالسيف، فكان : يرد على هجاء المشركين، خاصة شعراء قريش مثل ابن الزبعرى .يحرض المسلمين على الجهاد والثبات. يمدح الصحابة وأهل الإيمان، ليغرس في النفوس القدوة والاعتزاز بالدين. وقد قال عنه الرواة:"كان شعر كعب بن مالك يُثبّت قلوب المؤمنين، ويُغيظ أعداء الله".

ثالثا: خصائص شعره التي رفعت منزلته

١. **الإيمان الصادق**

كل بيت من شعره ينبض بالعقيدة واليقين، بعيد عن الزهو والغرور الجاهلي.

٢. **الصدق الفني والعاطفي**

لم يكن شعره تكلّفًا أو تصنّعًا، بل نابعًا من تجربة حيّة عاشها مع النبي ﷺ وأصحابه.

٣. **الجزالة والوضوح**

لغته قوية، لكنها سهلة قريبة إلى الفهم، تجمع بين فصاحة الجاهليين وصفاء الإسلاميين.

٤. **طهارة الألفاظ والمعاني**

خال من الفحش والهجاء المبتذل، فيه نبل وأدب رفيع.

موضوعات شعر كعب بن مالك

كعب بن مالك الأنصاري كان أحد شعراء الإسلام الذين استخدموا موهبتهم الشعرية لخدمة الدين الإسلامي و الدفاع عن النبي ﷺ. تميز شعره بالقوة والوضوح، وكان يعكس مشاعره وأحداث عصره. يمكن تصنيف موضوعات شعره إلى عدة محاور رئيسية.

١– المدح والثناء على النبي ﷺ.

كان كعب من الشعراء الذين أكثروا من مدح النبي ﷺ و بيان فضله و رفعة مكانته. قول كعب ﷺ فى مدح رسول الله ﷺ:

الحق منطقه والعدل سيرته * فمن يجبه إليه ينج من تبب
نجد المقدم ماضي الهم معتزم * حين القلوب على رجف من الرعب
يمضي ويذمرنا عن غير معصية * كأنه البدر لم يطبع على الكذب[٥٥]

٢– الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

رد على هجاء المشركين للنبي ﷺ وللمسلمين. ساند الإسلام في مواجهة أعدائه بالشعر، وكان من شعراء الدعوة الإسلامية الذين نصروا الدين بالكلمة.

لعمر أبيكما يا بني لؤي * على زهو لديكم وانتخاء
لما حامت فوارسكم ببدر * ولا صبروا به عند اللقاء
وردناه بنور الله يجلو * دجى الظلماء عنا والغطاء
رسول الله يقدمنا بأمر * من أمر الله أحكم بالقضاء[٥٦]

٣– الرثاء.

الرثاء هو تصوير ما يعتلج فى النفس من الم وحزن لموت عزيز أو عزيزة أو صديق أو خليفة أو أمير، وكثيرا ما يثنى الشاعر على المرثى حنئذ لا يفترق الرثاء عن المدح إلا ان يختلط الرثاء بشئ يدل على ان المقصود به ميت[٥٧] قال كعب بن مالك ﷺ يرثي رسول الله ﷺ:

يـا عين فابكي بدمع ذرى * لـــخير البرية والمصطفى
وبـكي الرسول ! وحق البكاء * عليه، لـدى الحرب عند اللقا
علـى خير من حملت ناقة، * وأتـــقى البرية عند التقى
علـــى سيد ماجد جحفل، * وخـــير الأنام وخير اللها[٥٨]

قال ابن إسحاق: فلما هلك عبيدة بن الحارث من مصاب رجله يوم بدر. قال كعب بن مالك الأنصاري يبكيه:

أيا عين جودي ولا تبخلي * بدمعك حقا ولا تنزري
على سيد هدنا هلكه * كريم المشاهد والعنصر[٥٩]

النقائض

المناقضة فى الشعر تعني أن ينقضى شاعر ما قاله شاعر آخر، كما يشير كعب بن مالك في مناقضته لضرار بن الخطاب يوم بدر:

فلما لقيناهم وكل مجاهد * لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره * وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كأنها * مقاييس يزهيها لعينيك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا * وكان يلاقي الحين من هو فاجر[٦٠]

٤– الهجاء

قال كعب بن مالك ﷺ في يوم بدر:

لعمر أبيكما يا بني لؤي * على زهو لديكم وانتخاء
لما حامت فوارسكم ببدر * ولا صبروا به عند اللقاء[٦١]

٥– الحث على الجهاد والتشجيع على القتال.

استخدم شعره لإلهاب حماس المسلمين وتحفيز هم على الجهاد في سبيل الله، ووصف بطولات الصحابة وشجاعتهم في المعارك، مما ساعد في رفع الروح المعنوية.

قال كعب بن مالك ﷺ فى الحث والتشجيع على معركة بدر:

ألا هـــل أتى غسان عنا ودونـــــهم * مـن الأرض خـرق سـيره متنعع
صحـــار وأعـــــــــلام كأن قتامـــها * مـــن الـــبعد نـــقع هـــامد متقطع
تـظل به الـبزل الـــــعراميس رزحا * ويـخلو بـــه غيث الـسنين فيمرع
به جيف الحسرى يـــلوح صليبها * كـــما لاح كتان التجار الـــموضع

بـــه الـعين والآرام يمشين خلفة * وبـــيض نـــعام قـــيضه يتقلـــع
مـجالدنا عن ديننا كـــل فـــخمة * مـــذربة فـــيها الـــقوانس تـــلمع
وكـل صموت في الـــصوان كأنها * إذا لبست تـــهى مـــن الماء مترع[٦٢]

٤–الفخر

افتفخر كعب بن مالك بانتمائه للإسلام وبكونه من الأنصار الذين نصروا النبي ﷺ. وأبرز في شعره تضحية الأنصار وإخلاصهم في نصرة الدين. قال ﷺ يفخر بانتصار المسلمين يوم بدر:

وخبره بالذى لا عيب فـــيه * بصدق غير أخبار الـــــكذوب
بما صنع المليك غـداة بدر * لنا فى المشركين من النصيب
غـداة كأن جمعهم حـــــراء * بـدت أركانـــه جنح الـغروب[٦٣]

الخاتمة

إن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه كان من أبرز شعراء صدر الإسلام الذي جمع بين صدق الإيمان جمع بين قوة الإيمان وجمال البيان، وبين صدق العاطفة ونقاء الهدف. فقد سخر شعره لخدمة الإسلام والدعوة إلى الحق، فكان شعره منبثقا من قلب مؤمن وعقل واع أدرك أن الكلمة أمانة ومسؤولية. لقد أسهم كعب بن مالك في تحويل مسار الشعر العربي من التفاخر بالأنساب والمآثر القبلية إلى تمجيد القيم الإسلامية والدفاع عن العقيدة، فكانت قصائده مرآة صادقة لمشاعر المسلمين في صدر الإسلام، تعبر عن صدقهم وثباتهم وصبرهم على الحق. وقد برزت في شعره موضوعات متعددة كالدعوة إلى الجهاد، ومدح النبي ﷺ، والدفاع عن الإسلام في وجه أعدائه، والرثاء الصادق للصحابة والشهداء. لقد أدّى كعب بن مالك دورا عظيما في توجيه الشعر العربي نحو الأهداف السامية بعد أن كان أداة للفخر والعصبية، فصار بفضل أمثاله شعرا يحمل رسالة الحق ويعبر عن القيم والمبادئ الإسلامية. وبذلك تبقى خدماته في الشعر العربي خالدة، لا بوصفه شاعرا فحسب، بل مؤمنا صادقا سخر موهبته لخدمة دينه ونبيه ﷺ، فاستحق أن يذكر في سجل الخالدين من شعراء الإسلام الأوائل.

الهوامش

[١] جابى زاده على فهمى، حسن *الصحابة في شرح أشعار الصحابة*، الجزء الأول (إستانبول: روش مطبعة، ١٣٢٤هـ)، ص: ٤٣؛ محمد خليفة، *كعب بن مالك شاعر السيف والقلم*، مجلة البحوث الإسلامية؛ المجلد الأول، العدد الأول، الرياض: رياسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، رجب–شعبان– رمضان، ١٣٩٥هـ، ص: ٩٧؛ *معجم الشعراء*، ص: ٣٤٢.

[٢] عمر بن يوسف بن عبد البر، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، القسم الثالث (حيدر آباد، ١٣١٨هـ) ص:١٣٢٣ *و السهيلى*: ٣٢٣/٢.

[٣] *الاستيعاب*،ص: ١٣٢٣، و البخشى: *تراجم الصحابة رواة احاديث المصابيح* ص: ٧٥ و صفي الدين الخزرجى: *خلاصة تذهيب الكمال في اسماء الرجال* ص: ٣٧٣.

[٤] احمد بن يحى بن جابر، *انساب الاشراف* الجزء الاول (دار المعارف، ١٩٥٩م) ص:٢٤٨. ابن ابى حاتم الرازى: *الجرح و التعديل* ١٦١/٢. *و الاصابة* ٣٠٩/٥ ؛ و السيوطى: *المزهر* ٤٢٥/٢.

[٥] *الاستيعاب* ص: ١٣٢٣. *السهيلى* ٣٢٣/٢.

[٦] احمد بن على العسقلانى *تهذيب التهاذيب في اسماء الرجال* الجزء الثامن، (حيدر آباد، ١٣٢٥ هـ)ص: ٤٤٠ .

[٧] شهاب الدين ابو الفضل، *الإصابة في تمييز الصحابة* الجزء الخامس، (الشرقية بمصر، ب ـ ت) ص: ٣٠٩.

[٨] عمر فروخ، *تاريخ الادب العربى*، الجزء الأول (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م)، ص: 323.

[٩] *ابن سعد*، الجزء الثامن، ص: ٤٠٦؛ *ابن خلكان*، المجلد الخامس، ص: ٢٠١.

[١٠] *ابن سعد*، الجزء الثامن، ص: ٤٧٨؛ *ابن خلكان*، المجلد الخامس، ص: ٢٠١؛ *تراجم الصحابة*، ص: ١٠٣.

[١١] *الاصابة*، الجزء الخامس، ص: ٧٤؛ *ابن خلكان*، المجلد الخامس، ص: ٢٠١

[١٢] مُحَمَّد بن عمر جار الله الزمخشرى، *ربيع الابرار*، الجزء الثانى (مكتبة الاوقاف، بغداد، ٣٨٦) ص: ١٤٣.

[١٣] *التحفة اللطيفة* ١٨٩/٢.

[١٤] *جوامع السيرة*، ص: ٢٧٨.

[١٥] ابن سعد، *الطبقات الكبيرة*، الجزء الخامس (بريل في لندن، ١٣٢٢هـ)، ص: ٢٠١؛ الرازى، *الجرح و التعليل* الجزء الثانى (حيدر آباد، ب ـ ت)، ص: ١٤٢– ٣٣٢.

[١٦] الهزم: ما تشقق و تكسر من الارض. و الخضمات: من اودية الحجارز.

[١٧] البكرى، *معجم ما استعجم* ٥٧١/٢ الطبعة الاوربية.

[١٨] *ابن سعد*، الجزء الخامس، ص: ٢٠١؛ *ابن هشام*، الجزء الثانى، ص: ٤٣٩؛ مُحَمَّد بن جرير الطبى، *تفسير الطبرى*، الجزء الثاني (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ)، ص: ٣٦٠.

[١٩] *ابن هشام* ٥٠٥/١ و ابن سيد الناس: *عيون الاثر* ٢٠١/١ *و ابن العمادك شذرت الذهب* ٥٦/١.

[٢٠] *تفسير الطبرى*: ٥٥٥/١٥.

[٢١] الحصرى: *زهر الآداب* ٥/١.

[٢٢] *تهذيب التهذيب* ٤٤٠/٨ *و جزانة الادب* ٢٧٦/١.

[٢٣] الإمام مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، *الجامع الصحيح*، الجزء الخامس (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ٢٧٥.

[٢٤] *الواقدى* ص: ٢٦٠.

[٢٥] الذهبى: *سير اعلام النبلاء*، الجزء الثانى (دار المعارف، مصر، ب ـ ت) ص: ٣٧٧.

[٢٦] كناية عن كونه معجبا بنفسه،ذا زهو و تكبر، *سيرة ابن هشام*، الجزء الثانى، ص: ٥٣٢ ؛ وصحيح البخاري، الجزء الرابع، ص: ١٦٠٣.

[٢٧] مُحَمَّد بن اسماعيل البخارى، *الجامع الصحيح*، المجلد رابع (ديوبند: أصح المطابع، ب–ت)، ص:٤.

[٢٨] الذهبى، *سير اعلام النبلاء*، الجزء الثانى (دار المعارف، مصر، ب ـ ت) ص: ٣٧٩.

[٢٩] البيهقى: *دلائل النبوة (مخطوط)*

[٣٠] المقريزى: *امتاع الاسماع* ٢٨٧/١.

[٣١] *صحيح البخارى* ١٣٩/٣.

[٣٢] *دلائل النبوة (مخطوط)*

[٣٣] على بن حسام الدين، *منتخب كنز العمال*، الجزء الخامس، ص: ٢٦٣.

[٣٤] *سير اعلام النبلاء* ٢/ ٣٧٤ *و ابن كثير* ٤٨/٨.

[٣٥] العامری الیمنی: *الریاض المستطابة في جملة من روی في الصحیحین ما الصحابة* (مخطوط)

[٣٦] ابن العماد: *شذر الذهب* ٥٦/١ و السندی: *البدر المنیر في صحابة البشیر النذیر* ص: ١٥٢.

[٣٧] *سیر اعلام النبلاء* ٣٧٦/٢.

[٣٨] الحافظ عماد الدین أبو الفداء إسماعیل بن عمر بن کثیر ، *تفسیر القرآن العظیم*، الجزء ثامن (الریاض: مکتبة دار السلا، ١٩٩٤م)، ص: ٤٨.

[٣٩] ابن قدامة: *الاستبصار في انساب الانصار* ١٣٤/٢.

[٤٠] عبد القادر بن عمر البغدادی، *خزانة الادب*، الجزء الاول (السلفیة بالقاهرة، ب ـ ت) ص: ٢٧٦.

[٤١] *ابن کثیر* ٤٨/٨.

[٤٢] *سیر اعلام النبلاء* ٣٧٦/٢.

[٤٣] ابن حجر: *تهذیب التهذیب* ٤٤٠/٨.

[٤٤] *البدایة و النهایة* ٤٨/٨.

[٤٥] الصغانی: در السحابة في بیان مواضع وفیات الصحابة (مخطوط) *و تراجم الصحابة رواة الاحادیث المصابیح* ص:٧٨.

[٤٦] السندی: *البدر المنیر في صحابة البشیر النذیر* ص: ١٥٢.

[٤٧] البکری: *معجم ما استعجم* ٥٧١/٢.

[٤٨] *البخاری:الادب المفرد*'ص:١٧٢.

[٤٩] *طبقات الشعراء*، ص:٨٤:

[٥٠] *نفس المصدر*، ص:٨٥.

[٥١] *الاستیعاب*، ص:٢٢٣/١.

[٥٢] *نکت الهمیان في نکت العمیان*، ص:٢٣٠ .*وخزانة الادب*، ص:٢٢/٣.

[٥٣] السیوطی: *المزهرفي علوم اللغة*، ص:٣٠٩/٢.

[٥٤] *سیرة ابن هشام*، الجزء الثانی، ص: ٤٧٩؛ کعب بن زهیر، *الدیوان*، تحقیق: الاستاذ علی فاعور (دار الکتب العلیمة، ١٩٩٧م)، ص: ٦٥.

[٥٥] *ابن هشام*، الجزء الثانی، ص: ١٦٢؛ *دیوان کعب بن مالك*، ص:٩٤

[٥٦] *سیرة ابن هشام*، الجزء الثانی، ص: ٢٥؛ *دیوان کعب بن مالك*، ص:٩٧.

[٥٧] الادب وتاریخه فی العصرین الأموی والبعاسی، ص: ٢٦.

[٥٨] *سبل الهدی و الرشاد*'ص:٢٧٩/١٢.*دیوان کعب بن مالك*'ص:١١٤.

[٥٩] *ابن هشام* ، الجزء الثانی، ص:٢٤.

[٦٠] *سبل الهدی و الرشاد*'ص:٢٧٩/١٢.*دیوان کعب بن مالك*'ص:١١٤.

[٦١] *ابن هشام* ، الجزء الثانی، ص: ٢٧٢.

[٦٢] *ابن هشام* ، الجزء الثانی، ص: ٢٥؛ *دیوان کعب بن مالك*، ص:٢٦٦؛ *ابن هشام*،الجزء الثانی، ص: ١٦١.

[٦٣] الدکتور رحاب عکاوی،*حسان بن ثابت الأنصاری شاعر النبوة و الإسلام*(بیروت دار الفکر العربی،١٩٩٦م) ص: 124؛(یستعمل هذا المصدر فیما بعد بإسم"عکاوی") .